الغزالي

(تابع ما قبلهُ)

آراء الغزالي في العلوم الاسلامية لعهدهِ

بيّنا في ما اسلفنا ان الوسط الذي عاش فيهِ الغزالي كان العظمة والنبوغ فيهِ بالتبريز في علم الفقه والتوحيد والمهارة في الجدل حتى يشهد لهُ الخصوم وتخضع الاقران وكان لعهدهِ فريق اتخذ الفلسفة شعارًا فاضاع في الخوض فيها زمنًا وكان معظمها من الفلسفة اللفظية التي لا تحق حقًّا ولا تبطل باطلاً بل تزيد الفرقة وتقطع الوصلة . وقد قسمت هذه العلوم الثلاثة المسلمين الى فرق شتى يستحل كل منها المكروه بالاخر . فهاج الفقه والجدل فيهِ هائج العصبية بين الشافعية والحنفية في بلاد العراق حتى كان ذلك في بعض الاحايين داعية الفتن والخروج عن الجادة والالفة الاسلامية . وانما عصم الله المالكية من الخوض في هذه الغمرات لانهم كانوا بعيدين عن دنيا اهل العراق لا يشركونهم في شيء منها وحب الدنيا كما تعلمون رأس كل خطيئة . وكانت بلاد المغرب والاندلس للمالكية خاصة ليس لاحد من غيرهم فيها كبير شأن . وهاج التوحيد والجدل فيهِ عصبية جلّى بين الاشعرية والمعتزلة ثم بين المعتزلة بعضهم مع بعض ثم بين الفلاسفة وجميع هؤلاء وبين الاشعرية والحنابلة ببغداد لما كان لهؤلاء من القول بالتشبيه الذي لا يقول بهِ اتباع الاشعري . وكانت تستعر الفتن بين الفريقين حتى تمسي بغداد منهم على خطر . انبرى الغزالي لتعجيز ذلك كله وانهُ ليس مما يوصل الى الله ويطهر القلب ويجعل الانسان انسانًا كاملاً . فقال ان ما يفيد الانسان هو الكلام في جهاد النفس وتحليتها بجميل الاخلاق وتخليتها من دنس الاخلاق . فالعلم بحدود هذه الامور وحقائقها واسبابها وثمراتها وعلاجها هو العلم الحق وهو فرض عين سبق فتوى علماء الآخرة . ولو سئل فقيه عن معنى من هذه المعاني حتى عن الاخلاص او عن التوكل او وجه الاحتراز عن الرياء لتوقف فيهِ ولو سألتهُ عن اللعان والظهار لسرد عليك مجلدات من التفريعات الدقيقة التي تنقض الدهور ولا يحتاج الى شيء منها لا يزال يتعب ليلاً ونهارًا في حفظها ودرسها ويغفل عما هو مهم في نفسهِ في الدين واذا روجع فيهِ قال اشتغلت بهِ لانهُ علم الدين وفرض الكفاية ويلبس على نفسهِ وعلى غيرهِ في تعلمهِ وانفطن يعلم انهُ لو كان غرضهُ اداء حق الامر في فرض الكفاية لقدم عليهِ فرض العين بل قدم عليهِ

كثيراً من فروض الكفايات . فكم من بلد ليس فيه طبيب الا من اهل الذمة ثم لا ترى احداً يشتغل به ويتهافتون على علم الفقه لا سيما الخلافيات والجدليات والبلد مشحون من الفقهاء بين يشتغل بالفتوى والجواب عن الوقائع فليت شعري كيف يرخص فقهاء الدين في الاشتغال بفرض كفاية قد قام به جماعة واهمال ما لا قائم به . هل لهذا سبب الا ان الطب ليس يتيسر به الوصول الى تولي الاوقاف والوصايا وحيازة اموال الايتام وتقلد القضاء والحكومة والتقدم به على الاقران والتسلط به على الاعداء

ثم ضرب المتكلمين ضربة هي اشد من هذه وانكى فقال ان حاصل ما يشتغل عليه الكلام من الادلة التي ينتفع بها فالقرآن والاخبار مشتملة عليها وما خرج عنهما فهو اما تحاولة مذمومة وهي من البدع واما مشاغبة بالتسلق بمناقضات الفرق لها وتطويل بنقل المقالات التي اكثرها ترهات وهذيانات تزدريها الطباع وتجها الاسماع وبعضها خوض في ما لا يتعلق بالدين ولم يكن شيء منه مألوفاً في العصر الاول وكان الخوض فيه بالكلية من البدع ولكن تغير الآن حكمه اذ حدثت البدع الصارفة عن مقتضى القرآن والسنة ونبغت جماعة لفقوا لها شبهاً ورتبوا فيها كلاماً مؤلفاً فصار ذلك المحظور بحكم الضرورة مأذوناً فيه بل صار من فروض الكفايات وهو القدر الذي يقابل به المبتدع اذا قصد الدعوة على البدعة وذلك الى حد محدود . ثم قال ان معرفة الله وصفاته وافعاله لا تحصل من علم الكلام بل يكاد يكون الكلام حجاباً عليه ومانعاً منه وانما الوصول اليه بالمجاهدة

ثم اورد على نفسه اعتراضاً وهو كيف تنزل بهذين العلمين الفقه والتوحيد الى هذا الحد مع ان فقهاء الامة المشهورين بالفضل هم الفقهاء والمتكلمون وهم افضل الخلق عند الله فكيف تنزل درجاتهم الى هذه المنزلة السافلة بالاضافة الى علم الدين . واجاب عن ذلك بقوله اعلم ان من عرف الحق بالرجال حار في متاهات الضلال فاعرف الحق تعرف اهله ان كنت سالكاً طريق الحق وان قنعت بالتقليد والنظر الى ما اشتهر من درجات الفضل بين الناس فلا تغفل عن الصحابة وعلو منزلتهم فقد اجمع الدين عرضت بذكرهم على تقدمهم وانهم لا يدرك في الدين شأوهم ولا يشق غبارهم ولم يكن تقدمهم بالكلام والفقه بل بعلم الآخرة وسلوك طريقها

بحث الغزالي عن الاسباب التي دعت لشيوع المناظرة والجدل بين الفقهاء والمتكلمين لان الاشياء اذا ظهرت للناس اسبابها وكانت اسباباً مرضية سهل رجوع الناس عنها فقال لما انتقل امر الخلافة الى من لم يكونوا في انفسهم فقهاء احتاجوا الى من يعينهم من الفقهاء

ليزاولوا القضاء والحكومات فرأى اهل تلك الاعصار ان العلماء واقبال الائمة والولاة عليهم فاشرأبوا لطلب العلم توصلاً الى درك العز ونيل الجاه من قبل الولاة فاكبوا على الفتاوى وعرضوا انفسهم على الولاة وتعرفوا اليهم وطلبوا الولايات والصلات وكان اكثر الاقبال في تلك الاعصار على الفتاوى والاقضية لشدة الحاجة اليهما في الولايات والحكومات . ثم ظهر بعدهم من الصدور والامراء من يسمع مقالات الناس في قواعد العقائد ومالت نفسهُ الى سماع الحجج فيها فمالت رغبتهُ الى المناظرة والمجادلة في الكلام فاكب الناس على علم الكلام واكثروا فيهِ التصانيف ورتبوا فيهِ طرق الجادلات وزعموا ان غرضهم الذب عن الدين والذهاب عن السنة وقمع المبتدعة كما زعم من قبلهم ان قصدهم من الاشتغال بالفتاوى الدين ونقلد احكام المسلمين اشفاقاً على خلق الله ونصيحة لهم . ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب الخوض في الكلام وفتح باب المناظرة فيهِ لما كان قد تولد من فتح بابهِ من التعصبات الفاحشة والخصومات الفاشية والمفضية الى اهراق الدماء وتخريب البلاد ومالت نفسهِ الى المناظرة في الفقه وبيان الاولى من مذهب الشافعي وابي حنيفة على الخصوص وتساهلوا في الخلاف مع مالك وسفيان واحمد وغيرهم وزعموا ان غرضهم استنباط دقائق الشرع وتقرير علل المذاهب وتمهيد اصول الفتاوى وهم مستمرون عليهِ الى اليوم . ولسنا ندري ما الذي يحدث الله فيما بعدنا من الاعصار . فهذا هو الباعث على الاكباب على الخلاف والمناظرات لا غير ولو مالت نفوس ارباب الدنيا الى الخلاف مع امام آخر من الائمة اراني علم آخر من العلوم لمالوا ايضاً معهم ولم يمسكوا عن النضال بان ما اشتغلوا بهِ هو علم الدين وان لا مطلب لهم سوى التقرب الى رب العالمين

رأى المناظرين قد يلبسون على الناس للرفع من قيمة مناظراتهم وانما كان يفعلها السلف من الصحابة والكبار من الفقهاء لاحقاق الحق فقال ان الوصول الى الحق محمود فالمناظرة التي تؤدي اليهِ محمودة ولكن جعل لذلك شروطاً هي مبادئ سامية لكل مناظر ولا يمكنهم ان يدعوا الاتصاف بها

(١) ان لا يشتغل بها وهي من فروض الكفاية من لم يتفرغ من فروض الاعيان فان من عليهِ فرض عين فاشتغل بفرض كفاية وزعم ان مقصدهُ الحق فهو كذاب ومثلهُ من يترك الصلاة في نفسهِ ويتجرد في تحصيل الثياب ونسجها ويقول غرضي استتر من يصلي عرياناً ولا يجد ثوباً فان ذلك ربما يتفق ووقوعهُ ممكن كما يزعم الفقيه ان وقوع الوادر التي عنها البحث في الخلاف ممكن . والمشتغلون بالمناظرة مبطلون لامور هي فرض عين بالاتفاق

(٢) ان لا يرى فرض كفاية اهم من المناظرة فان رأى ما هو اهم وفعل غيرهُ عصى بفعله وكان مثالهُ مثال من يرى جماعة من العطاش اشرفوا على الهلاك وقد اهملهم الناس وهو قادر على احيائهم بان يسقيهم الماء واشتغل بتعلم الحجامة وزعم انهُ من فروض الكفاية ولو خلا البلد عنها هلك الناس واذا قيل لهُ ان في البلد جماعة من الحجامين وفيهم غنية فيقول هذا لا يخرج الفعل عن كونهِ فرض كفاية . فحال من يفعل هذا ويهمل الاشتغال بالواقعة الملمة بجماعة العطاش كحال المشتغل بالمناظرة وفي البلد فروض كفايات لا قائم بها

(٣) ان يكون المناظر مجتهداً يفتي برأيهِ لا بمذهب الشافعي وابي حنيفة حتى اذا ظهر لهُ الحق في مذهب ابي حنيفة ترك ما يوافق رأي الشافعي وافتى بما ظهر لهُ كما كان يفعل الصحابة والائمة فاما من ليس لهُ رتبة الاجتهاد وهو حكم كل اهل العصر وانما يفتي فيما يأثر عنهُ ناقلاً عن مذهب صاحبهِ فلو ظهر لهُ ضعف مذهبهِ لم يجز لهُ ان يتركهُ فاي فائدة لهُ في المناظرة ومذهبهُ معلوم وليس لهُ التفتي بغيرهِ وما يشكل عليهِ يلزمهُ ان يقول لعل عند صاحب مذهبي جواباً عن هذا فاني لست مستقلاً بالاجتهاد في اصل الشرع

(٤) ان لا يناظر الاَّ في مسألة واقعة او قريبة من الوقوع غالباً . ولا ترى المتناظرين يبتدون بالمسائل التي تم البلوى بالفتوى فيها بل يطلبون الطبوليات التي تسمع فيتسع مجال الجدل فيها كيف كان الامر وربما يتركون ما يكثر وقوعهُ ويقولون هذه مسألة خبرية او هي من الزوايا وليست من الطبوليات . فمن العجائب ان يكون المطلب هو الحق ثم يتركون المسألة لما ذكروا والمقصود في الحق ان يقصر الكلام ويبلغ الغاية على القرب لا ان يطول

(٥) ان تكون المناظرة في الخلوة احب اليهِ واهم من المحافل وبين اظهر الاكابر والسلاطين فان الخلوة اجمع للفهم واحرى بصفاء الذهن والفكر ودرك الحق وفي حضور الجمع ما يحرك دواعي الرياء ويوجب الحرص على نصرة كل واحد نفسهِ حقاً كان او مبطلاً وانت تعلم ان حرصهم على المجامع والمحافل ليس لله وان الواحد منهم يخلو بصاحبهِ مدة طويلة فلا يكلمهُ وربما يقترح عليهِ فلا يجيب واذا ظهر مقدم او انتظم مجمع لم يغادر شيئاً من فرس الاحتيال منازعاً حتى يكون هو المتخصص بالكلام

(٦) ان يكون في طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين ان تظهر الضالة على يدهِ او على يد من يعاونهُ ويرى رفيقهُ معيناً لا خصماً ويشكرهُ اذا عرَّفهُ الخطأ واظهر لهُ الحق كما لو اخذ طريقاً في طلب ضالة فنبههُ صاحبهُ على ضالتهِ في طريق آخر فانهُ كان يشكرهُ ولا يذمهُ ويكرمهُ ويفرح بهِ اما المناظرون اليوم فانت ترى كيف يسود وجه احدهم اذا

اتضح الحق على لسان خصمهِ وكيف يخجل بهِ وكيف يجتهد في مجاحدتهِ بافضى قدراهِ وكيف يذم من اخمهُ طول عمرهِ

(٧) ان لا يمنع معينهُ في النظر من الانتقال من دليل الى دليل ومن اشكال الى اشكال ويخرج من كلامهِ جميع دقائق الجدل المبتدعة فيما لهُ وعليهِ كقولهِ هذا لا يلزمني ذكرهُ وهذا يناقضهُ كلامك الاول فلا يقبل منك . فان الرجوع الى الحق مناقض للباطل يجب قبولهُ وانت ترى جميع المجالس تنقضي في المدافعات والمجادلات حتى يقيس المستدل بعلة يظنها فيقال لهُ ما الدليل على ان الحكم في الاصل معلل بهذه العلة فيقول هذا ما ظهر لي فان ظهر لك ما هو اوضح منهُ واولى فاذكرهُ حتى انظر فيهِ فيصير المعترض ويقول فيهِ معان سوى ما ذكرتهُ وقد عرفتها ولا اذكرها اذ لا يلزمني ذكرها ويقول المستدل عليك ايراد ما تدعيهِ وراء هذا و يصير المعترض على انهُ لا يلزمهُ و يتوخى مجالس المناظرة بهذا الجنس من السؤال والمثالهِ ولا يدري المسكين ان قولهُ اعرفهُ ولا اذكرهُ اذ لا يلزمني كذب على الشرع فانهُ ان كان لا يعرف معناهُ وانما يدعيهِ لعجز خصمهِ فهو فاسق كذاب عصى الله وتعرض لسخطهِ بدعواهُ معرفة هو خال عنها وان كان صادقاً فقد فسق باخفائهِ ما عرف من امر الشرع بعد ان سئل عنهُ . فمعنى قوله لا يلزمني اي في شرع الجدل الذي ابتدعناهُ بحكم التشهي والرغبة في طريق الاحتيال والمصارعة بالكلام لا يلزمني

(٨) ان يناظر من يتوقع الاستفادة ممن هو مشتغل بالعلم والغالب انهم يحترزون من مناظرة الفحول والاكابر خوفاً من ظهور الحق على السنتهم فيرغبون فيمن دونهم طمعاً في ترويج الباطل عليهم

هذه هي المبادئ السامية التي وضعها هذا الامام الحجة الثبت للمناظرة بعد ان بين اسبابها واضرارها وعلاجها كما هو شأن الباحثين الذين يريدون الخير باسهم ولكنا بالاسف لم نستفد كثيراً من هذه التعاليم بل بقينا كما كنا لان مظاهر الدنيا غطت على البصائر والابصار

يقول هذا الامام بعد ان ادلى بحجتهِ واعلم ان من لا يناظر الشيطان وهو مستولٍ على قلبهِ وهو اعدى عدوهُ ولا يزال يدعوهُ الى هلاكهِ ثم يشتغل بمناظرة غيرهِ في المسائل التي المجتهد فيها مصيب ومسامح للمصيب في الاجر فهو ضحكة للشيطان وعبرة للمخلصين

تكلم الغزالي عن التعليم والتعلم فوضع للتعلم والمعلم اساساً يبنيان عليها ما يريدان ان يشتغلا بهِ وهي على ما نظن من خير المبادئ التي اخرجها الفكر للناس ومقامها في التعليم العالي الذي كان الغزالي يشتغل بهِ قال رحمهُ الله على يلزم المتعلم

(١) ان يقدم طهارة نفسه عن رذائل الاخلاق فان كان الطالب رديء الخلق ما ازداد من العلم الحقيقي الا بعداً عن الله وكلما كان الخلق رديئاً فان التعاليم النظرية لا تزيد صاحبها الا رداءة وخبثاً

(٢) ان لا يتكبر على العلم ولا يتأمر على المعلم ويلقي زمام امره بالكلية اليه في كل تفصيل ويذعن لنصحه اذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق وينبغي ان يتواضع للعلم ويطلب الثواب والشرف بخدمته ولا ينبغي ان يسأله الا اذا اذن له فان سؤال الطالب عما لم تبلغ مرتبته اليه مذموم

(٣) ان يحترز اخائفين في العلم في مبدإ الامر عن الاصغاء الى اختلاف الناس سواء كان ما خاض فيه من علوم الدنيا ام من علوم الآخرة وذلك يدهش عقله ويحير ذهنه ويفتر رأيه ويوشك ان يحرمه عن الادراك والاطلاع بل ينبغي ان يتقن اولاً الطريقة الواحدة المرضية عند استاذه ثم بعد ذلك يصغي الى المذاهب والشبه وان لم يكن استاذه مستقلاً باختيار رأي واحد وانما عادته نقل المذاهب وما قيل فيها فليحذر منه فان اضلاله اكثر من ارشاده فلا يصلح الاعمى لقود العميان وارشادهم ومن هذا حاله يبعد في عمى الحيرة وتيه الجهل

(٤) ان لا يدع الطالب فناً من الفنون المحمودة ولا نوعاً من انواعه الا وينظر فيه نظراً يطلع به على مقاصده وغايته ثم ان ساعده العمر طلب التبحر فيه واستوفاه وتطرف من البقية فان العلوم متعاونة وبعضها مرتبط ببعض ويستفيد منه في الحال الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله فان الناس اعداء لما جهلوا

(٥) ان لا يخوض في فن من الفنون دفعة بل يراعي الترتيب ويبتدئ بالاهم فان العمر اذا كان لا يتسع لجميع العلوم فالحزم ان يأخذ من كل شيء احسنه

(٦) ان لا يخوض في فن حتى يستوفي الفن الذي قبله فان العلوم مرتبة ترتيباً ضرورياً وبعضها طريق الى بعض والموفق من راعى ذلك الترتيب والتدريج

(٧) ان يكون قصد المتعلم في الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة وفي المآل القرب من الله سبحانه ولا يقصد به الرئاسة والمال والجاه ومماراة السفهاء ومباراة الاقران

اما ما يلزم المرشد المعلم فهو

(١) الشفقة على المتعلمين وان يجريهم مجرى بنيه

(٢) ان لا يطلب على افادة العلم اجراً ولا يقصد به جزاء ولا شكراً بل يعلم لوجه الله خالصاً وان لا يرى لنفسه منة على طلبة وان كانت المنة لازمة عليهم بل يرى الفضل لهم

اذ هذبوا قلوبهم لان تتقرب الى الله بزرع العلوم فيها

(٣) ان لا يدع من نصح المتعلم شيئاً وذلك بان يمنعهُ من التصدي لرتبة قبل استحقاقهِ والتشاغل بعلم خفي قبل الفراغ من الجلي

(٤) وهي من دقائق صناعة التعليم ان يزجر المتعلم عن سوء الاخلاق بطريق التعريض ما امكن ولا يصرح وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ فان التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف ويهيج الحرص على الاصرار

(٥) ان المتكفل ببعض العلوم ينبغي لهُ ان لا يقبح في نفس المتعلم العلوم التي وراءهُ كمعلم اللغة اذ عادتهُ تقبيح الفقه ومعلم الفقه عادتهُ تقبيح علم الحديث والتفسير ومعلم الكلام ينفر عن الفقه فهذه اخلاق مذمومة للمعلمين ينبغي ان تجتنب والمتكفل بعلم واحد ينبغي ان يوسع على المتعلم طريق التعلم في غيرهِ

(٦) ان يقتصر بالمتعلم على قدر فهمهِ فلا يلقي اليهِ ما لا يبلغهُ عقلهُ فينفرهُ او يخبط عليهِ عقلهُ

(٧) ان المتعلم القاصر ينبغي ان يلقى اليهِ الجلي اللائق بهِ ولا يذكر لهُ ان وراء هذا تدقيقاً وهو يدخرهُ عنهُ فان ذلك يفتر رغبتهُ في الجلي ويشوش عليهِ قلبهُ ويوهم اليهِ البخل بهِ عنهُ اذ يظن كل احد انهُ اهل لكل علم دقيق فما من احد الاَّ وهو راضٍ عن الله سبحانهُ في كمال عقلهِ واشدهم حماقة واضعفهم عقلاً هو افرحهم بكمال عقلهِ

(٨) ان يكون المعلم عاملاً بعلمهِ فلا يكذب قولهُ فعلهُ وكل من تناول شيئاً وقال للناس لا تتناولوهُ فانهُ سم ذعاف مخرب الناس بهِ واتهموهُ وزاد حرصهم على ما نهوا عنهُ

هذا ايها السادة طرف من تعليم هذا الرجل في القرن الخامس من الهجرة . ومما يؤسف لهُ في حياة هذه الامة الباسلة ان وجد فيها كثير من ارباب الفكر الذين ازاحوا عن اعناقهم نير التقليد بما ادتهُ من قوة العقل ورياضة الجأش ولكن تعاليمهم لا تلبث ان يأتي عليها الزمن فتنطمس كامس الدابر ولا يكون للخلف تعبير يهذب قواعدها ويدعو الناس الى العمل بها . ويا ليت ان المفكرين يخلصون لا عليهم ولا لهم بل الامر بالعكس فان كتب الغزالي ظلت لقيت اضطهاداً حتى في المدن المستنيرة فقد احرقت في رابعة النهار بمدينة المرية احدى حواضر الاندلس وجعلهُ من ترجمهُ موضوعاً للقادحين والمادحين فهذا يقول زائغ ملحد وآخر يقول بل مؤمن محقق ويظلون في ابحاث الالفاظ حتى يضيقوا الخناق على من يقرأ كلامهم اما الموضوع والتعاليم فقلما يبحثون فيها . ولذلك قلما تكون تعاليم النابغين

آثار عملية في حياة هذه الامة ويعتقد كثير من الناس ان حياتهم لا تدوم الاَّ بمصادمة كل ذي فكرة يرى فيها صلاحاً لأمته فيخافون لهُ العواقب ويتهمونهُ بما شاؤوا من التهم واذا اعوزتهم الحيلة جاءوا من قبل الدين فيشوهونهُ للعامة بصورة تنفر منها الابدان ولولا ان الغزالي كان يظهر للناس آراءهُ وهو بعيد من دنيا اهل السوء حينما نفى عليهم مذاهبهم لنالهُ منهم شر كثير

وبالجملة فانا نرى الغزالي قد ارتفع كثيراً عن الوسط الذي عاش فيهِ وابدى آراءهُ بكثير من الصراحة وان لم يمكننا ان نقول بكل الصراحة

آراء الغزالي في النفس

الغزالي كان جل ما يسعى اليهِ هو الفضيلة والتحلي بها ومن هذا شأنهُ لا بد لهُ من كلمة في النفس واني ارى آراءهُ فيها نضجت من قبل التصوف المحجوب بالنقل عن الدين وهو من ابحاثهِ بعيد عن التشريح (التحليل) الفلسفي وهو ما اهتم بهِ المتقدمون من الفلاسفة وقليل من متاخريهم كما انهُ بعيد عن التشريح العملي وهو ما يميل اليهِ كثير من فلاسفة الغربيين الآن

قال الغزالي ان هناك اربعة من الاسامي تختلف مسمياتها القلب والنفس والروح والعقل

فاما القلب فحقيقتهُ الجسمية معلومة وتستوي فيهِ الحيوانات . واما القلب المشار اليهِ بقولهِ تعالى (ان في ذلك لذكرى لمن كان لهُ قلب او القى السمع وهو شهيد) فهو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الانسان واما علاقتها بالقلب الجسماني فما حار فيهِ الغزالي او مما لم يرد اظهارهُ

الروح يراد بها معنيان احدهما جسم لطيف منبعهُ تجويف القلب فينتشر بواسطة العروق الضوارب الى سائر اجزاء البدن وجريانهُ في البدن وفيضان انوار الحياة والحس منها على الاعضاء يشبه فيضان النور من السراج الذي يدار في زوايا البيت فانهُ لا ينتهي الى جزء من البيت الاَّ ويستنير بهِ والحياة بمثالها النور الحاصل في الحيطان والروح بمثالها السراج وسريان الروح وحركتهُ في الباطن مثل حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محركهِ — الثاني — هو اللطيفة العالمة المدركة من الانسان وهو المعنى الثاني من معاني القلب

النفس يراد بها معنيان احدهما المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الانسان — الثاني تلك اللطيفة التي هي الانسان بالحقيقة وانما اوصاف يختلف احوالها فهي المطمئنة وهي اللوامة

العقل ذكر لهُ اربعة معان — اولها — ذلك الوصف الذي استعد بهِ الانسان لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية وهو الغريزة او هو الاستعداد — ولا نظن

احداً ينكر هذا المعنى حتى الملحدين انفسهم — قال ونسبة هذه الغريزة الى العلوم كنسبة العين الى الرؤية — الثاني — العلوم الادبية التي تخرج الى الوجود في ذات الطفل المميز وقد صحح الغزالي هذا الاطلاق ونفى ان يكون العقل هو هذه العلوم لا غير — الثالث — العلوم المستفادة من التجارب — الرابع — ان تنتهي تلك الغريزة الى ان يعرف عواقب الامور ويقمع الشهوة . وسكت الغزالي بالمرة عن الخ وتلافيفه فلم يتكلم عليه بكلمة وكأنه اعتبره مجرد آلة للادراك كبقية الآلات تعمل في الجسم بتدبير الروح وهذا مما لا اجيز لنفسي الخوض فيه الا اذا كنت ممن يسيرون وراء الظنون والتخمينات

اظن ايها السادة ان هذا القدر يظهر لحضراتكم بالغزالي ونسبته الى الوسط الذي عاش فيه . وللرجل بعد تعاليم كثيرة في الاخلاق وتهذيب النفس وهو ما فصرتنه عليه في آخر عمره ولا بقي وقتي بان اطيل عليكم فاكتفي بهذا القدر والسلام محمد الخضري

معجم الحيوان

(تابع ما قبله)

﴿ العُقاب ﴾ Aquila. E. Eagle. F. Aigle طائرٌ من سباع الطير وهي اعظم الجوارح اي الكواسر ولا تقع على الجيف الا اذا عضها الجوع . قوية المخالب ومسرولة اي في ساقيها ريش ولها منسرٌ اي منقار قصير احقف واقبت بالشعواء والظفراء لتعقفه وزيادة اعلاه على اسفله

﴿ النَّسْر ﴾ Vultur. E. Vulture. F. Vautour طائر من سباع الطير لكنهُ ليس من عقائها اي جوارحها بل يقع على الجيف وقلما يصيد وهو اعظم من العقاب شرهٌ نهم رغيب . لهُ منسرٌ طويل منعقف في طرفهِ فقط ولا ريش لهُ في رأسهِ وعنقهِ بل فيهما زغبٌ ابيض قصير وله بُرائل اي ريشٌ مستدير باسفل عنقهِ . ساقاهُ عاريتان ولا مخالب لهُ بل اظفار ولا يقوى على جمع اظفارهِ وحمل فريسته بها كما تفعل العقاب بمخالبها . والنسور انواع كثيرة اشهرها الرخمة وسيأتي ذكرها وهذا الطائر الذي مرّ وصفهُ وهو المعروف بالنسر عند العرب من عهد جاهليتهم الى يومنا ويعرف بهذا الاسم عند المتكلمين بالعربية من المغرب الاقصى الى العراق ومن الشام شمالاً الى اليمن والسودان جنوباً وبسميه علماء الحيوان Gyps fulvus وهو Vautour fauve بالفرنسوية و Griffon vulture بالانكليزية